حضور التاريخ في رواية شعلة المايدة لمحمد مفلاح

أ(ة). سهام بولسحار
جامعة الجزائر 2

الملخص:

حظي الفن الروائي باهتمام النقاد والأدباء ويعود هذا في اعتقادنا لامتلاكه قدرات وإمكانيات تسمح له باحتواء تاريخ الإنسان ماضيا وحاضرا وحتى مستقبلا، والرواية كغيرها من الفنون التعبيرية تسمح بدخول واستقطاب الأجناس الأدبية الأخرى: كالقصة، المسرحية، الشعر ... دون أن ننسى التاريخ واحتواءها على هذا الأخير يسمح لها بالدخول في العديد من العلاقات كالمحاكاة، والحوار ... ومن ثم فقد اخترنا في دراستنا هذه أن نتحدث عن التناص التاريخي، فكان محمد مفلاح وجهتنا و"شعلة المايدة" محطتنا لكونها تعكس تاريخ وهران بالخصوص وتاريخ الجزائر بالعموم .

Abstract:

The novelist art has acquired, in recent years, the attention of critics and writers, the fact of which results in our belief to its possession of capabilities and possibilities allowing the same to contain the concerns of people , either in the past , present and even in the future . Further , the novel , like other expressive arts, allow the entry and attraction of other literary races , in respect such as : The story , theatre , poetry …without forgetting the history , and its consistence of this latter allows it entering into many relationships , such as the imitation , dialogue , etc…

In the light of which , we have chosen in this study of ours to talk about the historical intertextuality , thus we selected Mohamed Meflah as our destination and Choalat El Maida Torch of Table as our station since it reflects the history of Oran in particular and the history of Algeria in general.

الدراسة :

ثمة مرجعيات عديدة ينفتح عليها النص يأخذ منها ما يخدم إبداعه فيتجه الكاتب: "**بعقله ووجدانه نحو العلوم الإنسانية قديمها وحديثها مع اعتبار تشعباتها في ميادين التاريخ وعلم الاجتماع والفلسفة ثم بالفنون غير الأدبية من تشكيل ومعمار بالإضافة إلى العلوم السياسية والاقتصادية والقانونية بل يصل الأمر في بعض الحالات إلى العلوم التجريبية** ..." [1] وهذا ما جعل النصوص المعاصرة نصوصا مركبة يصطدم فيها القارئ بهذا العالم الغربي الذي يسع كل هذه التركيبات لمختلف مصادر الثقافة الإنسانية فيأخذ المبدع منها ما تقتضيه التجربة فيستعيرها من عصرها ويحملها من عصره ما تغدو به منسجمة في حاضرها لتغدو تناصاتها ظاهرة حينا وخفية حينا آخر.

وبتعدد المرجعيات واختلافها ينفتح النص على كل هذه المكونات التي يحفل بها العالم ويرصدها التاريخ فتغدو النصوص في علاقة اتصال وانفصال مع ماضيها وتظهر الرواية من بين كل النصوص لتقيم علاقة وطيدة مع التاريخ تتأتى من طبيعتها التي تنهض على تصوير الواقعي والمعيش تصويرا فنيا تخييليا وهذا ما ذهب إليه **فورستر** حين قال : " **الرواية عمل نثري تخييلي بطول معين** " [2] بينما عرفها **جون هالبرين** على أنها: " **شكل لا يعرف بل يكتشف فطولها**

---

[1] محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص 253، 254.

[2] جون هالبرين: نظرية الرواية " مقالات جديدة " ، ترجمة : محي الدين صبحي، دط، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سورية، 1981، ص 177.

واتجاهها ومضمونها لا يوصف مسبقا وليس لديها موضوع أقدس أو أدنس من أن تعالجه " [1].

فالرواية تتناول مشكلات الحياة ومواقف الإنسان منها في ظل التطور الحضاري السريع الذي يشهده المجتمع الإنساني خلال قرن ما ولا يتأتى لها ذلك إلا من خلال غوصها في: " **الواقع القائم والواقع الممكن أي أنها تكتب عن أشياء وقعت وانقضت عن أخبار تنبأ بحدوثها في المستقبل ممتطية صهوة التخييل لتكتب وتنكتب داخل فضاءات متناقضة ولغات متعارضة وشخوص مصنوعة من اليومي الملموس والمحلوم به ومن ما تدخره الذاكرة الفردية وحتى الجماعية** " [2] أما التاريخ فهو كلمة يونانية تعني فعل النظر أو بالأحرى شاهد العيان وما يضيفه هذا الشاهد إلى تجربته الخاصة، كما تعني لفظة تاريخ أيضا : مجمل الحوادث الملحوظة التي تجلت فيها حياة البشرية وتتجلى فيها اليوم وستتجلى فيها غدا [3] ففي كل عصر نفهم الماضي فهما جديدا من خلال التعبيرات الباقية لنا ويكون فهمنا للماضي أفضل كلما توافرت شروط موضوعية في الحاضر شبيهة بما كان في الماضي وقد ارتبط مفهوم التاريخ أيضا: بالإنسان على اعتباره كائنا تاريخيا يفهم نفسه بنفسه من خلال التجارب الموضوعية للحياة

---

[1] المرجع نفسه: ص 147.

[2] أنظر: محمد برادة: سلطة الرواية والتخييل في الثقافة العربية، مجلة الثقافة، العدد 09، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، يناير، 2007، ص 70.

[3] أنظر: جوزيف هورس: قيمة التاريخ : ترجمة: نسيم نصر، ط3، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1986، ص 10.

فهو يقوم بجولة هرمينوطيقية تأويلية للتعبيرات الثابتة للماضي [1] ومن ثم يرتبط التاريخ بكل من الإنسان والأحداث على اعتبار الإنسان صانعه أمثال: زعماء ومشاهير وأعلام، قادة، شعوب ....أما الأحداث فهي مجموعة الأفعال أو ردود الأفعال التي يؤديها الإنسان ضد فرد أو جماعة أو استعمار أو انتداب ...

أما **ابن خلدون** فهو يراه: " **فن غزير المذهب جم الفوائد شريف الغاية فهو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا** " [2] بينما ينظر إليه المؤرخ على أنه تحقيق وسرد ما جرى فعلا في الماضي [3] إذ يغدو التاريخ هنا سجلا للماضي ولكن دراسته ليست هي دراسة الماضي برمته وإنما تنصب على دراسة مسيرة الإنسان في هذا الماضي ويعني هذا اعتبار التاريخ سجلا للماضي من حيث ارتباطه بالإنسان [4] فإذا كان التاريخ يستند إلى أحداث حقيقية وقعت في زمن معين فهل يمكن للحقيقي – التاريخ – أن يندرج ضمن المتخيل ؟ وأين تكمن نقاط التقاطع بين الخطاب

---

[1] أنظر: نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ط4، المركز الثقافي العربي، بيروت ، لبنان، 1996، ص 28.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، ج1، ط1، دار نوبليس، بيروت، لبنان، 2005، ص 17.

[3] عبد الله العروي: ثقافتنا في ضوء التاريخ ، ط6، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2002، ص 09.

[4] قاسم عبده قاسم: تزوير التاريخ، جملة عالم الفكر، العدد 3، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير، مارس، 2008، ص 07.

الحقيقي الواقعي والخطاب الإبداعي القائم على التخييل ؟ أو بعبارة أخرى ما هي علاقة الرواية بالنص التاريخي ؟ .

تعتبر هذه العلاقة من أهم القضايا والإشكاليات المطروحة على الساحة النقدية والأدبية، فالمؤرخ والأديب يشتركان في هدف واحد هو: " **تحويل الحياة أو الواقع إلى بنيات للمعنى ...فالمؤرخون – مثلهم مثل الروائيين – يصنعون عوالم قائمة بذاتها يقومون فيها بتقديم وتمثيل أفراد ومجموعات تتحكم فيها مساحة وزمن يخص هذه العوالم دون غيرها** "[1] كما عدهما البعض الآخر بناءين لغويين استقرت لهما أشكالهما السردية ولا يمتلك أيهما اليقين الكامل من ناحية اللغة أو البناء كما أنهما يبدوان متساويين في مسألة التناص أي استخدام نصوص سابقة في النسيج النصي المعقد لكل منهما ... [2] زد على ذلك فإننا نجد اعتماد كل من الرواية والتاريخ على آلية الهدم والبناء في الآن ذاته هدم الواقع السيء الذي تشبعت به الذاكرة الإنسانية على صعيد الواقع التاريخي وبناء واقع جديد مشيد روائيا على صعيد المناخ التخييلي [3] أما الفرق بين المؤرخ والروائي فهو يكمن في أن : " **المؤرخ يعتمد على المادة التي يحصل عليها قد يضيف إليها وجهة نظره**

---

[1] سمية رمضان، المصريون بين التاريخ والرواية، مجلة فصول، المجلد 15، العدد 14، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، شتاء، 1997، ص 313.

[2] ليندا هتشيون: رواية الرواية التاريخية، تسلية الماضي، مجلة فصول، المجلد 12، العدد 02، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، صيف، 1993، ص 96، 97.

[3] محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي، "دراسة في الملحمة الروائية " مدرارات الشرق، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع ، الآذقية، سورية، 2008، ص 26.

بينما الروائي يضيف إلى المادة الروائية خيالات وتصورات ..." [1] فالمؤرخ يضيف إلى مادته التاريخية رؤيته الخاصة نحو هذه الأحداث وفق ما يتماشى وإيديولوجيته واضعا في ذهنه تلك الرقابة الاجتماعية والسياسية أما الروائي فكتابته للتاريخ يسمها الطابع الخيالي المضاف إليها، كما يرى بشير مفتي أن المؤرخ : " **يفترض فيه أن يكون موضوعيا في كتابته للمادة التاريخية أما الروائي فهو غير موضوعي بالأساس** "[2] فالتاريخ في الرواية احتمالي فني جمالي بينهما هو خارجها حقيقي موضوعي ومن ثم فالرواية لا تنوب عن التاريخ ولا ينوب التاريخ عن الرواية لأنهما حقلان مختلفان جمالي ومعرفي ...[3] فالروائي أكثر حرية من المؤرخ الذي هو مطالب بكتابة تاريخ الأمة بينما ينقل الروائي وعيه للتاريخ وفهمه له للقارئ في حلة أدبية إبداعية ...

بينما يرى **أمين الزاوي** أن: " **المؤرخ يريد قراءة التاريخ من باب التقييم في حين أن الروائي يقرأ التاريخ من باب محاولة البحث عن أسطرة ما قد يكون واقعا** " [4] أي جعل الواقع أسطورة أو كما يسمى أسطرة الواقع .

وبالإضافة إلى كل هذا نرى أن: " **الخطاب التاريخي هو خطاب إخباري ينقل ويسجل الأحداث والوقائع في تعاقبها وتسلسلها الزمني أما الخطاب الروائي ...فيهيمن فيه السرد لاشتغاله على القصة بشخصياتها وأحداثها وأمكنتها**

---

[1] زينب قبي: ندوة الرواية والتاريخ " آراء روائيين جزائريين "، مجلة الثقافة، العدد 9، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، يناير، 2007، ص 148.

[2] المرجع نفسه: ص 149.

[3] محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: المرجع السابق، ص 28.

[4] زينب قبي: المرجع السابق، ص 152.

وأزمنتها ..." [1] فالخطاب التاريخي يهتم بنقل الأخبار والحوادث والوقائع كما جرت بالفعل أي بإلتزام الموضوعية والأمانة العلمية في النقل أما الخطاب الروائي فهو يهتم بسرد وحكي الوقائع التاريخية كما كانت وجرت أو كما يجب أن تكون ففيه تمتزج الحقيقة بالخيال كما يمكن:" **للتاريخ أن يتحدث عن قرن أو قرون متتالية في سطر وهو يقوم بعمليات التحقيب والتنضيد بينما تتوقف الرواية عند لحظة إنسانية صغيرة كان لها الدور الحاسم في بنية الشخصية الروائية** " [2] فما يرويه التاريخ في مجلدات وكتب عديدة تحكيه الرواية في عمل إبداعي واحد وهذا لتميزها بظاهرة الاختزال الفني واللغوي وما يعجز المؤرخ عن قوله أو ما يتحاشى كشفه وفضحه تكشفه لنا الرواية وتعريه دون خلفيات أو معوقات وما يراه المؤرخ بسيطا يكتفي بتسجيله وتدوينه في الكتب التاريخية ليقدمها للقراء وكان الأحداث لديه متساوية بقوتها وضعفها فهي على النقيض من ذلك عند الروائي الذي قد تستوقفه حادثة معينة حتى وإن كانت بسيطة فتبدأ صغيرة لتنتهي كبيرة .

وخلاصة القول إن مهمة الروائي تكمن في تدوين ما عجزت أقلام المؤرخين عن كتابته لأسباب أو لأخرى ويبقى لكل واحد منهما الفضل في التعريف بالتاريخ وتقديمه للقراء كل حسب رأيه ووجهة نظره.

---

[1]) نجيب حماش : الخطاب التاريخي في رواية معركة الزقاق لرشيد بوجدرة ، مذكرة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 2000 /2001 ، ص 28.

[2] مجموعة باحثين : الرواية والتاريخ ، دط ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، 2006 ، ص 23.

وفي هذا المقام نجد محمد مفلاح كغيره من الروائيين الجزائريين الذين وظفوا التاريخ في أعمالهم الروائية بصورة جمالية فنية فلطالما استلهمت رواياته معطيات التراث التاريخي بوصفها رافد من الروافد المهمة التي يعود إليها الروائي ليوقظ ذكريات القارئ من قيلولتها فيعيد إليه الماضي بوقفاته وانتكاساته التي تظلل هذا الواقع باضطراباته وتناقضاته فبعد أن كتب عن الواقعية الشفافة في روايته "**بيت الحمراء**" وعن الواقعية الوجودية في رواية " **الانهيار**"[1]، ها هو اليوم ، يلجأ إلى توظيف التاريخ وشخصياته، ولعل أهمها: شخصية محمد الكبير الباي (الشخصية التاريخية) التي دارت حولها أحداث روايته " شعلة المايدة "، ولكن قولنا هذا لا ينفي غياب شخصيات متخيلة، بل على العكس من ذلك فقد زاوج محمد مفلاح بين كل من التاريخي والروائي، فبعد أن وظف التاريخ في العديد من إبداعاته السابقة مثل: خيرة والجبال، الكافية والوشام وهو توظيف بسيط وجزئي لتاريخ مدينة الجزائر وكأنها مجرد فلاشات وومضات، نجده اليوم يكتب رواية يستحضر من خلالها تاريخ منطقة ومدينة لا يقل تاريخها أهمية عن تاريخ الجزائر، ألا وهي مدينة وهران وما مرت به من احتلال اسباني غاشم : " **الذي لم يعتبره البعض احتلالا وإنما وضعية العالم الإسلامي في نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر هي التي أدت إليه والذي لم يتم عن طريق**

[1] عبد الحفيظ بن جلولي: الهامش والصدى " قراءة في تجربة محمد مفلاح الروائية "، دط، دار المعرفة ، باب الوادي الجزائر ، 2009.

الغزو والحرب بل كان بدعوة من أهل الجزائر ومشيختها وكانت البلاد تعاني من الهجومات الأولى للغزاة الأسبان مع سائر أقطار المغرب "[1].

وما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام هو اعتماد **محمد مفلاح** في كتابته لروايته " شعلة المايدة " على العديد من المؤلفات والكتب التاريخية التي سمحت بإكساب المتن الروائي قيمة تاريخية من جهة وإعادة بعث وإحياء هذا التراث من جهة أخرى، وأهم هذه الكتب:

1-كتاب الثغر الجوماني في ابتسام الثغر الوهراني " **لابن سحنون الراشدي** " .

2-مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار " **لأحمد توفيق المدني** " .

3-رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي " **لأحمد بن هطال التلمساني** ".

وقبل الخوض في غمار هذه الدراسة ، ينبغي أن نشير إلى صعوبة فك الشبكة العلائقية القائمة بين كل من النصين – الروائي والتاريخي –والتي يمكن حصر حضورها وتمظهراتها على مستوى النص التاريخي فيما يلي: حضور النص التاريخي على شكل حدث أو مجموعة أحداث ، وكذلك حضور شخصيات تاريخية كان لها دور مهم في صنع وتفعيل وتحريك وتيرة السرد .

[1] مولود طياب : تصحيح تاريخنا الوطني وتحديد مبادئه ، مجلة الثقافة ، العدد 67 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، يناير ، فبراير ، 1982، ص 12.

دراسة الأحداث:

حفلت رواية "شعلة المايدة " **لمحمد مفلاح** بزخم هائل من الأحداث التي تنامت وتشابكت كلها لتشكل العالم الكلي للرواية وتسمه بسمة خاصة، تميزه عن باقي الأعمال الابداعية الأخرى لمحمد مفلاح سواء اتكأت على الواقع المعيش أم اتكأت على التراث بمختلف تشعباته خاصة التراث التاريخي الذي طغى حضوره في رواية " شعلة المايدة "، وهذا ما يدعونا للقول بأن دراستنا للأحداث لا تكون بمنأى ومعزل عن دراسة الزمان والمكان والشخصيات والتفاعلات القائمة بين كل عنصر من هذه العناصر .

وإذا عدنا لرواية " شعلة المايدة "لمحمد مفلاح ألفينا حضورا معتبرا للأحداث التاريخية تم توظيفها بطريقة فنية جمالية إبداعية، يلفها الخفاء والغموض ليعطي **محمد مفلاح** الفسحة للقارئ بالتدخل في صناعة المعاني العميقة لهذه الرواية، فاستدعاؤه للأحداث التاريخية وإعادة كتابتها من جديد تجلى من خلال طريقتين هما :

1- استعادته للأحداث التاريخية بطريقة جزئية .
2- استعادته للأحداث التاريخية بطريقة كلية ، ساهمت هي الأخرى في بناء ونسج خيوط العمل الروائي " شعلة المايدة" .

أولا : التوظيف الجزئي للحدث التاريخي :

يشترك كل من المؤرخ والروائي في الكتابة للتاريخ فالمؤرخ يضيف إلى مادته التاريخية رؤيته الخاصة نحو هذه الأحداث وفق ما يتماشى وأيديولوجيته واضعا في ذهنه تلك الرقابة الاجتماعية والسياسية أما الروائي فكتابته للتاريخ

يسمها الطابع التخييلي فهو أكثر حرية من المؤرخ الذي هو مطالب بكتابة تاريخ الأمة بينما ينقل الروائي وعيه للتاريخ وفهمه له للقارئ في حلة أدبية إبداعية ...

وإذا عدنا لرواية " شعلة المايدة" **لمحمد مفلاح** ألفينا ذكرا مختصرا للعديد من الأحداث التاريخية التي نذكر منها :

*** الحديث عن تاريخ مدينة الجزائر:**

ارتبط هذا الحدث بشخصية عروج وأخويه حيث يقول السارد: " **ابتسم الشيخ التواتي فرحا بما سمعه من محمد الشلفي الذي ذكر أيضا أن عروج دخل القلعة وترك بها حامية تركية تحت قيادة أخيه اسحاق ثم واصل عروج مسيرته نحو مدينة تلمسان وقد تعرضت القلعة لهجوم أبي حمو موسى الثالث والغزاة الاسبان فاستشهد اسحاق في إحدى معاركها وحملق الشيخ التواتي جيدا في وجه الطالب الجريء وسأله ...** " [1].

وفي مقابل هذا نجد ذكرا مطولا لتاريخ مدينة الجزائر في الخطاب التاريخي، إذ يقول **أحمد توفيق المدني:** " **الشعب الذي كان ضحية ذلك العدوان العظيم والذي لم يجد من يقوده تجاه تلك الحملة المجنونة أرسل رسله تستنجد المجاهدين التركيين العظيمين عروج وشقيقه خير الدين وهما على رأس تشكيلة قوية من القرصان المسلمين تقاوم بصفة بطولية الأساطيل المسيحية، لبى**

[1] محمد مفلاح : شعلة المايدة ، دط ، دار طليطلة، الجزائر، 2010، ص 38.

المجاهدان التركيان الدعوة للإنقاذ وجاءا بأسطولهما ورجالهما فكان حصار بجاية وكان تخليص مدينة الجزائر وكان تنظيم المقاومة الشعبية"[1] .

ونستشف من خلال هذا التوظيف لهذا الحدث " تاريخ مدينة الجزائر " إشارة من محمد مفلاح لأهم المراحل والحقب التاريخية التي عرفتها مدينة الجزائر على الرغم من تركيزه على تاريخ مدن الغرب الجزائري – وهران ، غليزان – ، فهي رغبة من **محمد مفلاح** في القول بانتمائه العرقي والوطني لوطن يسمى الجزائر .

*** الحديث عن الزلزال :**

ارتبط هذا الأخير بزلزال الخريف الذي مس مدينة وهران وأحدث رعبا في نفوس الشعب الوهراني حيث يقول السارد: " **جاب المنادي قنوش أزقة مدينة معسكر وأبلغ سكانها بزلزال وهران ...وفي المسجد وجد راشد علماء المدينة يتحدثون بحماس عن الزلازل وأسبابها ...ثم راح يستمع إلى الشيخ الجيلالي الذي اعتبر الزلزال إشارة عن اقتراب فتح وهران فهتفت حناجر الحاضرين بالتكبير وتحمست لتحرير أرض الإسلام والتفت راشد نحو القاضي الطاهر بن حواء ...الذي قال حانت ساعة تحرير المدينة العزيزة على كل مسلم ...لقد أحدث الزلزال خسائر كثيرة وأدخل الفزع في قلوب الأسبان ولم يبق لنا إلا الاستعداد للجهاد** " [2].

---

[1] أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1980، ص 07 .

[2] الرواية: ص 90.

وفي مقابل هذا الحدث الذي كان مختزلا فنيا وروائيا نجد له حضورا وذكرا مطولين على مساحة السرد التاريخي الذي شهده كل من النصيين التاليين:

1- كتاب الثغر الجوماني في ابتسام الثغر الوهراني **لابن سحنون الراشدي** .

2- كتاب رحلة محمد الكبير الباي **لابن هطال التلمساني.**

حيث يقول **ابن سحنون الراشدي:** " **وكان من حديث هذه الزلزلة أنه لما كان الوقت المذكور وارتجت الأرض بالناس ارتجاجا عظيما اهتزت منه البيوت واضطربت السقوف اضطرابا قويا فانزعج الناس ...**" [1] دون أن ننسى قول **أحمد بن هطال التلمساني** في هذا الخضم:" **...وفي أثناء استعداد محمد الكبير للهجوم على مدينة وهران إذ بزلزلة تحرك المدينة من أقصاها فتهدم معظم بنيانها ولقى عدد كبير من السكان حتفهم وامتد تيار هذا الزلزال إلى مدينة معسكر إلا أنها لم تصب إلا بخسارة طفيفة جدا وكانت زلزلة وهران حافزا استعجاليا لمحمد الكبير فتحرك ...**" [2] .

ومن دلالات هذا التوظيف اكتفاء **محمد مفلاح** بالإشارة إلى الزلزال كحدث تاريخي وقع بالفعل أتى به لخدمة وتصعيد الأحداث الروائية الأخرى في حين اهتم التاريخ بذكر تفاصيله ومخلفاته وحيثياته على اعتباره شاهد عيان وناقل أمين للأحداث كما وقعت بالفعل بينما اكتفى محمد مفلاح بمجرد الإشارة إليه.

---

[1] ابن سحنون الراشدي: الثغر الجوماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، ج1، دط، مطبعة البعث ، قسنطينة، الجزائر، 1973، ص 212، 213.

[2] أحمد بن هطال التلمساني: رحلة محمد الكبير " باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري"، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، ط1 ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، 1969 ، ص 21.

*** تقسيم المهام الحربية:**

هو حدث تاريخي وسياسي في نفس الوقت تاريخي لأنه يسلط الضوء على أهم الشخصيات التاريخية البارزة في الرواية وهذا ما سيترتب عنه توزيع وتكليف للمهام التاريخية التي ستكلل بالنجاح فيما بعد، وهو سياسي أيضا: لأن تقسيم المناصب وتكليف شخص دون آخر يندرج ضمن العمل السياسي المساند للعمل التاريخي حيث يقول السارد: " **ثم سمع راشد أن الباي أمر قواده بتجنيد الجزائريين، وفي ظرف أسبوع تطوع خمسون ألف مجاهد في جيش البايليك، وتم توزيعهم إلى ثلاثة أقسام ، تولى الباي قيادة القسم الأكبر، وكلف ابنه عثمان بأهل تلمسان وفليتة والقبائل المجاورة لها وولى صهره محمد بن إبراهيم قيادة سكان مازونة ومستغانم والقلعة...** " [1].

لنسجل حضور هذا الحدث تاريخيا حيث يقول **ابن هطال التلمساني:** "**...نادى الباي في الناس حي على الجهاد وأرسل إلى جميع نواحي معسكر رسله ليخبروا رعيته بما عزم عليه ...فجعل أهل تلمسان ...وما جاورها من القبائل تحت قيادة ابنه عثمان وتكفل بقيادة أهل مازونة ومستغانم وقلعة بني راشد ...**" [2].

ونلمس من خلال هذا التوظيف رغبة **محمد مفلاح** في الإشارة إلى الطابع السياسي والتقسيمات الإدارية والعسكرية التي عرفتها معظم الشخصيات الثورية

---

[1] الرواية : ص 97.

[2] أحمد ابن هطال التلمساني: المرجع السابق، ص 18.

التي تخللت الثورة الجزائرية عامة وثورة الغرب " وهران ، غليزان " خاصة ومدى تأثير الحراك السياسي في بناء المشهد الروائي .

*** الحديث عن وفاة محمد باشا وولاية حسن باشا :**

يمكن إدراج هذا الحدث أيضا في إطار الرافد السياسي التاريخي حيث يقول السارد: " **وأدى الباي وجيشه الصلاة قرب أسوار المدينة ثم استأنفت المعارك وتدخلت بواخر العدو فقصفت جبل المايدة وهاجم الطلبة أبراج المدينة بالقنابل وفي الأيام توفي محمد عثمان باشا فخلفه حسن باشا وقد اغتنم الأسبان هذا التغيير الذي حدث بمدينة الجزائر فطلبوا الهدنة...**" [1].

وفي مقابل حضور هذا الحدث روائيا نجد له حضورا تاريخيا مكثفا حيث يقول **أحمد توفيق المدني:** " **مرض محمد باشا في سرايته ولما أشرف على الهلاك تكلم علي برغل خزنة دار مع الخزناجي حسن المذكور إنه إذا توفي الباشا فإنه يرسل له خفية ليقدم إلى دار الإمارة ويتولى باشا حسب العادة وذلك خفية من على آغا ...**" [2] .

نستنتج من خلال هذا التوظيف رغبة **محمد مفلاح** في التصريح بأن المناصب السياسية عادة ما تمنح لغير مستحقيها عن طريق أيدي خفية تسعى لتحقيق ذلك فهذا مثال ضربه **محمد مفلاح** للقول بأن ما حدث بالماضي لا يزال يحدث حاليا في كل البلاد العربية فلو عالجنا مشاكل الأمس لما عادوتنا اليوم ...

---

[1] الرواية: ص 116.

[2] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 51.

ثانيا : التوظيف الكلي للحدث التاريخي :

استحضر **محمد مفلاح** العديد من النصوص التاريخية لكتابة نصه الروائي هذا " شعلة المايدة" إذ نلمح توظيفا كليا لهذه النصوص ولكن هذا لا ينفي بعض الإضافات والتعديلات التي أدخلها **محمد مفلاح** لإنتاج هذا العمل الذي مزج فيه بين كل من الروائي والتاريخي ومن أهم هذه الأحداث نجد :

*** تعيين الداي خليل بايا:**

شهد هذا الحدث حضورا روائيا مكثفا على طول المساحة السردية لرواية " شعلة المايدة " فهو حدث سياسي تاريخي كشف من خلاله **محمد مفلاح** عن أهم القادة والثوار والسياسيين الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية تفجير الثورة الجزائرية والتخطيط لها تخطيطا سياسيا يضمن استمرارها وحتى نجاحها وهذا ما ظهر جليا في قول السارد: " **كان الأكحل قائدا هاما قضى بيننا سنوات عديدة ...أحب أجدادنا وصلحاء المنطقة لاشك أن الباشا سينصبه بايا بعد وفاة الباي إبراهيم الملياني...**" [1] وقوله أيضا : " **...وأثناء العودة إلى معسكر بلغ راشد نعي الباي إبراهيم الملياني فظن أن الداي سيعين الخليفة على رأس بايليك الغرب ولكن لم يحدث ما كان يتمناه الجند وسكان البايليك ...**" [2].

هذا فيما يخص حضور هذا الحدث روائيا، أما إذا عدنا إلى حضوره تاريخيا وجدنا له حضورا مختصرا، حيث يقول **أحمد بن هطال التلمساني** : " **وفي**

---

[1] الرواية : ص 08 .

[2] الرواية : ص 40.

أوائل هذه السنة توفي إبراهيم باي فطلبت الرعية من الداي أن يعين مكانه محمدا الكبير بايا على الإيالة الغربية وكاد الداي ينفذ رغبة الرعية ..." [1].

وما يمكن أن نستشفه من خلال هذا التوظيف رغبة **محمد مفلاح** في تسليط الضوء على قضية سياسية خطيرة مفادها: أن معظم المناصب السياسية التي يتولاها حكام وقادة اليوم في البلاد الأم " الجزائر " أو حتى في البلاد العربية، إن لم نقل العالم ككل وراءها أيدي خفية تسعى لوضع أناس لا يستحقون ذلك وهذا ما انعكس بالسلب على مصالح البلاد وحتى العباد، وكأن التاريخ يعيد نفسه، فلو أننا فصلنا وناقشنا مشاكل الأمس لما تفاقمت وازدادت اتساعا اليوم.

* حملة أوريلي:

شهد هذا الحدث أيضا حضورا معتبرا في رواية " شعلة المايدة " حيث نجد السارد يقول: " **ثم أخبرهم عن فطنة الداي محمد عثمان باشا الذي علم عن طريق جاسوس أجنبي بحملة عدوانية جديدة كان الأسبان يحضرونها في سرية منذ ست سنوات وقد كلفوا بها الجنرال أوريلي ذي الأصل الإيرلندي الذي سبق له أن حارب في جيش النمسا ثم في الجيش الفرنسي وبسرعة استدعى الداي البايات الثلاثة لمواجهة العدوان الاسباني ..."** [2] دون أن ننسى قوله أيضا : " **عاد راشد إلى الدوار الذي اشتاق إلى سهله ووديانه وروابيه كان سعيدا بالنصر الذي حققته الجزائر على حملة أوريلي وفخورا بما أحرزه الخليفة من مجد**

[1] أحمد بن هطال التلمساني: المرجع السابق، ص 16، 17.

[2] الرواية: ص 36، 37.

..."[1]. وفي مقابل هذا الحضور الروائي نسجل لهذا الحدث حضورا تاريخيا مختصرا جاء على لسان **أحمد بن هطال التلمساني** إذ يقول: "**وفي 1189 هـ تحرك الأسبان لغزو الجزائر بأسطول عظيم تحت قيادة الأرلادي أوريلي فشارك محمد الكبير في الدفاع عن الجزائر بجيشه الباسل ...وأذاق الجيوش الاسبانية مرارة الحمام فشكره الداي (محمد عثمان باشا) شكرا جزيلا ...**" [2] .

وهي إشارة من **محمد مفلاح** لأهم الحقب التاريخية ولأهم الحملات الاستعمارية التي شهدتها الثورة الجزائرية عامة وثورة الغرب خاصة – وهران – وما قابلها من مقاومات شعبية عبر كامل التراب الوطني.

*** فتح وهران الأول:**

سجل هذا الحدث حضورا معتبرا في رواية " شعلة المايدة " **لمحمد مفلاح،** حيث يقول السارد: " **بعدما حررت وهران عاش جدك فيها بعض الأيام وعاد إلى الدوار منتشيا بالنصر المبين، كان جدك يروي لنا في كل مناسبة كيف طرد الجزائريون جنود الأسبان من المدينة وقال لي يوما كنت شابا قويا ...وعشت سنوات عديدة سعيدا بتحرير وهران ...**" [3].

وفي مقابل هذا نجد حضورا مختصرا لهذا الحدث تاريخيا، حيث يقول **ابن سحنون الراشدي:** " **احتل الإسبان وهران سنة 914 هـ وأخرجوا منها سنة 1119 هـ ثم استرجعوها سنة 1144 هـ وبقوا بها ربع قرن إلى أن اخرجوا**

---

[1] الرواية: ص 51.

[2] أحمد بن هطال التلمساني : المرجع السابق ،ص 16.

[3] الرواية : ص 52 ، 53.

منها نهائيا سنة 1206 هـ على يد الباي محمد بن عثمان الكبير الكردي باي الولاية الوهرانية ... " [1] .

ونستشف من خلال هذا التوظيف عودة **محمد مفلاح** إلى تاريخ وهران وإلى أهم الحقب التاريخية وأهم الحكام الذين تعاقبوا عليها وإلى أهم وأبرز الفتوحات التي شهدتها ، فبعد خروج الاسبان منها سنة 1119هـ استرجعوها ثانية وبقوا بها ربع قرن إلى أن أخرجوا منها نهائيا سنة 1206 هـ وهذا ما يفسره العنوان الفرعي لرواية " شعلة المايدة " وهو دروب العودة إلى وهران فهي عودة إلى مدينة وهران وتاريخها المجيد الزاخر بالبطولات والتضحيات الجسام .

*** تعيين محمد بن عثمان الكردلي بايا على الإيالة الغربية :**

اهتم **محمد مفلاح** بهذه الشخصية التاريخية فهي رمز للمقاومة الشعبية بالمنطقة الغربية الوهرانية كما اهتم أيضا بذكر أهم المراحل التي مرت بها هذه الشخصية من بينها تعيينه بايا على الإيالة الغربية وهذا ما تجسد في قول السارد : " **رفع الحاج يحي يديه نحو صدره وضحك عاليا ثم قال : لقد عين الأكحل على رأس البايليك ...وسأل الشيخ الطاهر شقيقه باهتمام كبير: خبرني ماذا جرى للباي خليل ؟ ....لقد أصيب بعلة غريبة فحملوه إلى تلمسان التي توفي بها ثم دفن بمقبرة سيدي محمد السنوسي ...**" [2] وفي مقابل حضور هذا الحدث روائيا نجد له حضورا تاريخيا تجسد في قول **أحمد بن هطال التلمساني: " وفي سنة 1192هـ اجتمعت الطائفة الدرقاوية من جديد بموضع يقال له عين الحوت قرب**

---

[1] ابن سحنون الراشدي : المرجع السابق ، ص 09 .

[2] الرواية : ص 60 ، 61.

تيموشنت وقررت الخروج عن دولة الأتراك فنهض إليهم الحاج خليل باي الإيالة الغربية وفي أثناء سيره إليهم حدثت عاصفة شديدة شتتت شمل عسكره وفجأة توفي الباي دون أن يعرف سبب لوفاته ... وعين محمد الكبير بايا على الإيالة الغربية فقضى على الثورة الدرقاوية وغيرها...فراح ينشر الأمن ويؤلف بين قلوب الناس وبادر بإخضاع القبائل المتمردة ... " [1].

وهي رغبة من **محمد مفلاح** في الإشارة إلى مقاومة الغرب الجزائري – وهران – وإلى أهم الشخصيات التاريخية التي تعاقبت على حكمها وصولا إلى شخصية محمد بن عثمان الكردي صانع المجد التاريخي ومحرر وهران وفاتحها .

*** الحديث عن الصلح :**

مرت المقاومة بالإيالة الغربية الوهرانية ضد الاحتلال الاسباني بعدة مراحل إلى أن وصلت مرحلة الحديث عن الصلح بغية إيقاف هذه المقاومة وحل هذه النزعات والخلافات بطريقة سلمية حضارية وقد عرف هذا الأخير حضورا مكثفا على طول المساحة السردية الروائية، حيث يقول السارد: " **لقد اتصل الإسبان بمولانا الباشا لطلب الصلح . هتف الخليفة بإخلاص: لقد انتصرنا يا سيدي الباي ...ثم بحزم... الصلح مع الأسبان لا يكون إلا بعد تحرير وهران ومرسى الكبير...**" [2].

[1] أحمد بن هطال التلمساني: المرجع السابق، ص17.

[2] الرواية : ص 111، 112.

وقوله: " **هذا هو رأي مولانا الباشا ولكنه يطلب منكم توقيف الحرب لمدة قصيرة حتى يتأكد من نوايا الإسبان..**"[1]

بالإضافة إلى ما قاله السارد: " **...لقد طلب ملك اسبانيا الصلح ولكن داي الجزائر رفض ذلك إلا بعد خروج العدو من أرض الجزائر ...**" [2].

كما نجد لهذا الحدث حضورا تاريخيا تجسد في قول **أحمد بن هطال التلمساني:** " **قرر الباي أن يبقى جيشه هناك محاصرا للبلاد ...وفي أثناء هذا الحصار توفي داي الجزائر محمد عثمان باشا فخلفه حسن الخزناجي الذي كان قد تبناه الداي ومنذ ذلك الحين أعطى لقب باشا...وقد رفع الحصار بسبب إبرام اتفاق صلح بين داي الجزائر وسلطان الأسبان ...**" [3]

وهي إشارة من **محمد مفلاح** بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ، فالصلح سياسة شكلية صورية يتبعها المستعمر لتهدئة الوضع فقط ومراجعة إمكانياته وتقوية عزيمته للهجوم مرة ثانية، فهي سياسة لكسب الوقت فلقد ضرب لنا التاريخ العديد من الأمثلة حول خيانة الصلح، فهو وسيلة لمعاودة الهجوم ثانية أكثر منه غاية كما يحسبه البعض الآخر.

*** الدنوش الكبير:**

هو احتفال يقام كل ثلاث سنوات يقوده الباي نفسه لتقديم الهدايا إلى الداي، وقد سجل هذا الأخير حضورا مكثفا على طول المساحة السردية الروائية حيث

---

[1] الرواية : ص 112.

[2] الرواية : ص 117.

[3] أحمد بن هطال التلمساني: المرجع السابق، ص 21 ، 22.

يقول السارد : " ... **رأى راشد سكان معسكر ورجال قبائل المنطقة وهم يتوافدون على الساحة الفسيحة ...وفجأة دقت الطبول وامتزجت ضرباته القوية بأنغام المزامير ...**" [1]

وقوله أيضا: " ...**بعد صلاة الفجر استأنف الباي ومرافقوه الرحلة الدنوشية ...وفي الطريق لاحظ راشد أن سكان الدواوير كانوا يلقون الباي بالهدايا الثمينة وكان الباي يقدم بدوره الهدايا لبعض أعيان القبائل ..**" [2].

وقد عرف هذا الحدث مقابلا تاريخيا تجسد في قول **أحمد توفيق المدني:** " **دنوش باي الغرب: لما وقعت المهادنة مع الإصبانيول ...جاء وقت الدنوش، فقدم الباي محمد باي وجاء معه بتحف وأموال وهدايا كثيرة ...**" [3] دون أن ننسى قوله أيضا: " **فلما طلع الصبح ...ركبوا وساروا وهم يلعبون ويضربون البارود والناس تتلقاهم بالهدايا للباي وهو يكافيهم على حسب المقامات ...**"[4].

وهي إشارة من **محمد مفلاح** إلى الطابع الشعبي الاحتفالي الذي وسم الثورة الجزائرية ، وإلى تلك الاحتفالات والسلوكيات التعبيرية والعادات والتقاليد التي كانت تعقب كل انتصار ثوري يحققه الشعب الجزائري.

وبالإضافة على هذا نجد إشارة محمد مفلاح إلى الحاضن الحقيقي للثورة الجزائرية والمتمثل في الشعب الذي حمل على عاتقه وكاهله مسؤولية الذود عن

---

[1] الرواية : ص 71.

[2] الرواية : ص 74، 75.

[3] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 36.

[4] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 36.

البلاد والتضحية بالنفس والنفيس من أجل تحرير الوطن الأم الجزائر وهو إيمان وقناعة من **محمد مفلاح** بأن: " **التراث الشعبي هو الأبوة التي يعد الإنسان ابنها الشرعي مدموغا بها متشكلا بأمشاجها وجيناتها المتوارثة والمتراكمة والتي تعمل فعلها ...ليظهر في النهاية ما اختطته الأجيال السابقة خطوة خطوة عبر العصور المتعاقبة** " [1].

- **الحديث عن الضرائب :** هو حدث اجتماعي مورس من قبل المستعمر أثناء الثورة التحريرية لإثقال كاهل الشعب الجزائري بالديون والضرائب والمستحقات المالية مما أتعب شعبنا الأبي، وهذا ما ظهر جليا في قول السارد: " **لقد أقبل شهر ماي بحرارة زادت أهل المنطقة قلقا على محاصيل حقولهم هاهو عام آخر من الجفاف يسلط همومه على السكان الذين أقلقتهم تجاوزات الحامية التركية التي أصبحت تزورهم كل ستة أشهر لجباية الضرائب المجحفة...**" [2] كما نلفي لهذا الحدث حضورا تاريخيا إذ يقول أحمد توفيق المدني : " **الخلفاء يأتون في آخر الربيع فيخرجون معهم الأمحال ليستخلصوا الخراج والزكاة والأعشار ...فأما محلة الغرب فتخرج في أبريل وتقيم أربعة شهور ومحلة تيطري تخرج في الصيف وتتم ثلاثة شهور ومحلة الشرق ...**" [3].

وهي إشارة من **محمد مفلاح** إلى تدهور الحالة الاقتصادية والاجتماعية المزرية التي كان يحييها الشعب الجزائري أثناء الاحتلال الاسباني لمدينة وهران، وما كان

---

[1] سعيد شوقي: توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، ط2، ايتراك للنشر والتوزيع ، مصر، 2000، ص13.

[2] الرواية : ص 80.

[3] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 35، 36.

يفرض عليه من سياسة التجويع والجبايات وفرض الضرائب الملقاة على كاهل هذا الشعب المناضل المكافح .

***الطابع الثقافي والتعليمي:**

– **التدريس في جبل المايدة :** هي إشارة من **محمد مفلاح** إلى الدور التوعوي والتعليمي الذي عرفته مدينة وهران أثناء الثورة والذي سعت إلى بعثه ونشره المنارات الثقافية وحتى الدينية كالمساجد والكتاتيب والزوايا، فعلى الرغم من الظلم المفروض على الشعب الجزائري إلا أن هذا لم يمنعه من طلب العلم والمعرفة إذ يقول السارد هنا: " **سيتوقف التدريس في كل أنحاء البايليك ولا يسمح به إلا في رباط المايدة هذا قراري ولا رجعة فيه من يرفض تطبيقه سيتعرض للعقوبة الشديدة** " [1] وفي مقابل هذا التوظيف للحدث روائيا نجد له مقابلا في أصله التاريخي حيث يقول **أحمد بن هطال التلمساني:** ".. **ومنع إنشاء المدارس في الإيالة ماعدا جبل المايدة ...وأمر مناديا ينادي في الناس أن كل من سكن جبل المائدة يعفى من دفع الضريبة.**" [2].

ونلمس من خلال هذا التوظيف إشارة **محمد مفلاح** إلى الطابع الثقافي العلمي الذي وسم ثورة الغرب الجزائري ممثلة بمدينة وهران ودور هذه الأخيرة في توعية الشعب بأهمية مشاركته في صنع هذه الثورة والدفاع عنها حتى النهاية .

---

[1] الرواية : ص 100.

[2] أحمد بن هطال التلمساني: المرجع السابق، ص 20.

*** الطابع الديني:**

– **قراءة صحيح البخاري:** عرف هذا الأخير حضورا مكثفا على طول المساحة السردية الروائية حيث يقول السارد: " **وفي الليل كان الطلبة يتلون القرآن الكريم وصحيح البخاري والمدائح النبوية، وهذا ما كان يثير الرعب في صفوف الاسبان ويزيدهم قلقا على مصيرهم.**" [1] وقوله أيضا: " **وجرى نحو الطلبة الذين تأهبوا للخروج من معسكر وهم يتلون صحيح البخاري.**" [2] دون أن ننسى قوله أيضا : " **وقضى الباي الليل رفقة العلماء والطلبة الذين تلوا سورا من القرآن الكريم وصحيح البخاري....**" [3] .

وفي مقابل هذا الحدث الروائي نجد له حضورا تاريخيا، حيث يقول **ابن سحنون الراشدي:**"**... أمر الأمير ....بقراءة صحيح البخاري بالمحلة المنصورة لكون قراءته مجربة لدفع الشدائد وتفرج الكرب...** " [4].

ونستشف من خلال هذا التوظيف رغبة **محمد مفلاح** في الإشارة إلى الطابع الديني الذي تميزت به الثورة الجزائرية والتي كان من أهم مبادئها ومقوماتها: الإيمان الراسخ بالدين الإسلامي واللغة العربية، وقد حاول الإستدمار الاسباني طمس الهوية الجزائرية من خلال طمس أهم مقوماتها ومبادئها ، فكان الإعلان عن الجهاد في سبيل الله وفي سبيل تحرير الوطن .

---

[1] الرواية: ص 101.

[2] الرواية: ص 105.

[3] الرواية: ص 120.

[4] ابن سحنون الراشدي: المرجع السابق، ص 298.

وما يمكن قوله في ختام هذه الدراسة هو توظيف **محمد مفلاح** للعديد من الأحداث السياسية والاجتماعية والدينية دون أن ننسى الأحداث التاريخية، فما اكتفى المؤرخ بذكره وما تحاشى قوله وكشفه وفضحه وما رآه المؤرخ بسيطا اكتفى بتسجيله وتدوينه في الكتب التاريخية ليقدمها للقارئ وكأن الأحداث لديه متساوية بقوتها وضعفها فما قدمه وعرضه لنا **محمد مفلاح** في قالب روائي استحضر من خلاله التاريخ وأحداثه ، فقد استوقفته حوادث معينة حتى وإن كانت بسيطة فتبدأ صغيرة لتنتهي عنده كبيرة منعكسة ومترجمة في عمل إبداعي فني يسمى " شعلة المايدة "، ومن ثم فقد اكتسبت هذه الرواية طابع المحلية من خلال حديث محمد مفلاح عن الطابع الاجتماعي والشعبي وطابع الوطنية من خلال استعادة تاريخ الوطن الأم " الجزائر "، وحتى القومية فما عاشته الجزائر من استعمار ما هو إلا عينة عما عاشه الوطن العربي ككل، ومن ثم اكتسبت هذه الرواية الطابع الثوري بامتياز مما سمح لها بتجاوز الحدود المحلية والوطنية والقومية وربما وصولا حتى العالمية كونها تعكس واقعا إنسانيا وتجربة إنسانية في بقعة جغرافية معينة وفي زمان تاريخي معين .

ومن خلال ما سبق ذكره نصل إلى نتيجة مفادها حضور التاريخ في رواية" شعلة المايدة " بصفة متوسطة إذ امتزج وتداخل كل من الروائي والتاريخي لصناعة رواية تاريخية جمعت كل من الأحداث التاريخية التي عرفتها مدينة وهران، وحتى الجزائر، بالإضافة إلى استحضار **محمد مفلاح** لشخصيات تاريخية ساهمت مساهمة فعالة في بناء سرح وتشييد الجزائر ككل، وللحديث عن هذه الملاحظات ارتأينا بلورتها في ثلاث نقاط هي:

الاستشهاد: هو "**حضور نص في نص آخر حضورا واضحا وحرفيا سواء استخدم في ذلك علامات التنصيص المزدوجان أم لا** " [1] وقد كثرت في النص الروائي " شعلة المايدة "الاستشهادات بالتاريخ ، وبما جرى فيه إذ أخذت هذه الأخيرة مساحة الأسد مقارنة بباقي أشكال التناص الأخرى من : اقتراض وايحاء، وقد توزعت هذه الاستشهادات على مجمل المساحة السردية الروائية أي من بداية السرد " هواجس طالب، حملة أوريلي، يوم الحراش " إلى وسطه " الأحلام الجميلة، الدنوش الكبير، لقاء الكاف الأزرق، زلزال الخريف، وقائع وهران " وانتهاء بكل من زمن البارود والمعارك الأخيرة .

وقد تراوحت هذه الاستشهادات بين ذكر لمجموعة من الأحداث التي ساهمت في تصعيد الحدث الروائي والوصول به إلى العقدة (الحبكة) وبين ذكر لمجموعة من الشخصيات التاريخية كشخصية إبراهيم الملياني التي عرفت حضورا مميزا في الرواية إذ يقول السارد:" **ودار الحديث بينهما عن الباي إبراهيم الملياني والخليفة محمد بن عثمان الكردي فقال له محمد الشلفي ' راشد ': لقد كلف الباي إبراهيم صهره الأكحل بالإشراف على كل القطاع الشرقي لبايليك الغرب ومقره كما تعلم مدينة مليانة وقد سمعت أنه تنازل له عن صلاحيات كثيرة حتى أصبح الخليفة الأكحل أقوى رجل في ديوان البايليك**"[2].

---

[1] سليمة عذاوري: الرواية والتاريخ " دراسة في العلاقات النصية رواية العلامة لابن سالم حميش نموذجا"، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005/ 2006، ص 48.

[2] الرواية: ص 29.

وإذا عدنا للمصادر التاريخية ألفينا حضورا لشخصية إبراهيم الملياني في كتاب: رحلة محمد الكبير الباي **لأحمد بن هطال التلمساني** حيث يقول: " **كان عثمان الكردي "أبوه لمحمد الكبير" مرتبطا بعرى الصداقة مع أبي إسحاق إبراهيم الملياني وكان هذا الأخير قائدا على مليانة ولما توفي الباي عثمان تكفل إبراهيم بعائلته واعتنى بولديه: محمد الكبير ومحمد الرقيق (بوكابوس) ولما توسم إبراهيم في محمد الكبير نشاط متزايدا ...زوجه بابنته ولما ارتقى إبراهيم وعين عن الإيالة الغربية أخذ معه صهره محمد الكبير وعينه قائدا على فليتة 1178هـ ولما بارع في الحكم ...عينه خليفة له عام 1182 هـ وبعد مدة قليلة أشركه في جميع حكومته ومنحه إدارة جميع الناحية الشرقية من الايالة الغربية .**" [1]

بالإضافة إلى شخصية محمد بن عودة التي عرفت هي الأخرى حضورا معتبرا في كل من النص التاريخي والروائي حيث يقول السارد في رواية " شعلة المايدة ": "...**ثم توجه راشد بخطى سريعة إلى ضريح سيدي أمحمد بن عودة فدخل فناءه الفسيح ...الباي الأكحل رجل فاضل يحترم زاوية سيدي أمحمد كثيرا عند كل زيارة للمنطقة ينزل من على فرسه قبل أن يجتاوز وادي مينة ثم يقصد ضريح الولي الصالح مشيا على الأقدام**"[2].

كما عرفت هذه الشخصية حضورا تاريخيا تجسد من خلال ما كتبه **ابن سحنون الراشدي** في كتابه: الثغر الجوماني في ابتسام الثغر الوهراني حيث يقول: " ...**وبنى مشهد الولي الصالح الذي اشتهرت ولايته في البلاد حتى آمته الزوار**

[1] أحمد بن هطال التلمساني: المرجع السابق، ص 15 ، 16.

[2] الرواية : ص 65.

من كل واد ذي الكرامات المتصلة على ممر الأحيان والبركات التي شهر بها العيان والفضائل المشهودة السيد محمد بن عودة نفعنا الله به وجعلنا من المتعلقين بسببه بناء عجيبا زيد به الضريح بهاء وقاد له الزوار قهرا ..." [1].

لقد وظف **محمد مفلاح** في بناء عمله الروائي هذا العديد من الشخصيات التاريخية كإبراهيم المليانى والدينية كمحمد بن عودة وحتى السياسية كأحمد بن هطال التلمساني إذ جاء هذا الأخير شخصية متعددة الأبعاد والدلالات من سياسية وفكرية وحتى أدبية فقد كان مستشارا وكاتبا لدى الباي محمد الكبير باي الإيالة الوهرانية هذا من الجانب السياسي، أما من الجانب الفكري الأدبي فقد ألف أحمد بن هطال التلمساني كتاب بعنوان: رحلة محمد الكبير " باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري "إذ اعتمد محمد مفلاح على هذا الكتاب وعده مصدرا من المصادر إن لم نقل رافدا من روافد التاريخ الذي أغنى به روايته " شعلة المايدة " حيث يقول السارد: " **وشاءت الظروف أن يلتقي راشد بالشيخ أحمد بن هطال الذي أعجب بخطه الجميل فكلفه بنسخ بعض كتاباته الأدبية وبمرور الوقت توطدت علاقتهما وأصبح راشد يتعصب للشيخ أحمد بن هطال ويفضي له بهواجسه** " [2].

وإذا عدنا لتوظيف وحضور هذه الشخصية تاريخيا ألفينا حضورها من خلال مصدرين تاريخيين هما :

---

[1] ابن سحنون الراشدي : المرجع السابق ، ص 132.

[2] الرواية : ص 69.

1- كتاب رحلة محمد الكبير الباي **لأحمد بن هطال التلمساني** حيث يقول : " **هو أحمد بن هطال التلمساني كاتب ومستشار لمحمد الكبير باي الإيالة الوهرانية ومبعوثه في المهمات الخارجية** " [1].

2- أما المصدر الثاني فهو كتاب الثغر الجوماني في ابتسام الثغر الوهراني **لابن حنون الراشدي** حيث يقول: " **أحمد بن هطال التلمساني عالم أديب كان كاتبا خاصا عند الباي محمد بن عثمان الكبير ورافقه في غزواته على الأغواط وعين ماضي سنة 1189 ودرن تلك الغزاة المشهورة عند القراء بالرحلة وقد نشرها وحققها الأستاذ محمد بن عبد الكريم الزموري**"[2].

دون أن ننسى الشخصية التاريخية محمد بن عثمان الكردي والتي عرفت حضورا روائيا مكثفا حيث يقول السارد: " **ألا تعلم أنه ابن الباي عثمان الكردي ...**" [3] وقوله أيضا: "...**وسكت لحظة ثم واصل كلامه، من هو هذا الرجل الذي يدعى محمدا ؟ وتمتم راشد: إنه محمد الأكحل كما يجزم مشايخنا** " [4] وكذلك قوله: "**أنت رجل عظيم وتستحق أن تلقب بالباي الكبير ...أجل أنت من الآن (محمد الكبير) ...فعلا أنت بطل ...أنت باي كبير ، لقد حققت نصرا تاريخيا أسعد مولانا السلطان والعالم الإسلامي كله** " [5].

---

[1] – أحمد بن هطال التلمساني : المرجع السابق ، ص 13.

[2] – ابن سحنون الراشدي : المرجع السابق ، ص 41.

[3] – الرواية : ص 14.

[4] – الرواية : ص 29.

[5] – الرواية : ص 118.

وفي مقابل هذا الحضور الروائي نجد لهذه الشخصية حضورا تاريخيا ، حيث يقول أحمد بن هطال التلمساني : " **محمد بن عثمان الكردي . كنيته : ...أبو عثمان ... أبو الفتوحات... أبو النصر ...أبو المواهب ...أبو الربيع ... لقبه: الكبير حسن إكراما له عندما فتح مدينة وهران الأكحل وهذا لسمرته ...**" [1].

بالإضافة إلى الشخصية الأدبية عبد الله الجيلالي والتي عرفت حضورا روائيا وتاريخيا مكثفا حيث يقول **محمد مفلاح** في روايته شعلة المايدة: " **واستقر راشد بالمدرسة المحمدية التي كان يديرها الشيخ الجلالي وقد كلف راشد بنسخ المخطوطات** " [2].

وفي مقابل هذا الحضور الروائي لهذه الشخصية نجد لها حضورا تاريخيا، حيث يقول **ابن سحنون الراشدي** في كتابه الثغر الجوماني في ابتسام الثغر الوهراني: " **والشيخ محمد بن عبد الله الجلالي صاحب الإجازة هو من أكابر علماء البلاد وقد اختاره الباي محمد بن عثمان الكبير لإدارة مدرسة المحمدية التي بناها قرب مسجده الذي أسسه على أنقاض الجامع الأعظم العتيق ...**" [3].

ومن ثم فقد استشهد **محمد مفلاح** بالعديد من الشخصيات المرجعية: من دينية، أدبية فكرية ، سياسية ، تاريخية مما ساهم في إغناء نصه الروائي " شعلة المايدة ".

---

[1] أحمد بن هطال التلمساني: المرجع السابق، ص 15.

[2] الرواية: ص 67.

[3] ابن سحنون الراشدي: المرجع السابق، ص 61.

أما إذا عدنا للإستشهاد بالأحداث فقد استهل **محمد مفلاح** ذلك بحديثه عن شروع الاسبان في غزو الجزائر ممثلا " بالكونت الأرلادي أوريلي " حيث أطلق عليه **محمد مفلاح** عنوان: " حملة أوريلي " حيث يقول: " **ثم أخبرهم عن فطنة الداي محمد عثمان باشا الذي علم عن طريق جاسوس أجنبي بحملة عدوانية جديدة كان الاسبان يحضرونها في سرية منذ ست سنوات وقد كلفوا بها الجنرال أوريلي ذي الأصل الإيرلندي الذي سبق له أن حارب في جيش النمسا ثم في الجيش الفرنسي وبسرعة استدعى الداي البايات الثلاثة لمواجهة العدوان الاسباني فأقبل الباي صالح الأزميرلي من بايليك قسنطسنة على رأس عشرين ألف جندي وعسكر قرب مصب وادي الحراش وتوجه مصطفى الوزناجي باي التيطري بجيشه إلى ضاحية تامنفوست وأقام بها معسكره أما الخليفة محمد بن عثمان الذي يقود جيش بايليك الغرب فسيكون معسكره قرب مباني ثكنة عين الربط ...**" [1] .

وفي مقابل حضور هذا الحدث روائيا نجد له حضورا تاريخيا ، حيث يقول **أحمد بن هطال التلمساني:** " **وفي 1189 هـ تحرك الإسبان لغزو الجزائر بأسطول عظيم تحت قيادة الأرلادي أوريلي فشارك محمد الكبير في الدفاع عن الجزائر بجيشه الباسل ...وأذاق الجيوش الاسبانية مرارة الحمام فشكره الداي (محمد عثمان باشا) شكرا جزيلا ...**" [2].

---

[1] الرواية: ص 36،37.

[2] أحمد بن هطال التلمساني: االمرجع السابق، ص 16.

أما الحدث الثاني الذي تم الاستشهاد به روائيا فهو تعيين الحاج خليل التركي بايا على بايليك الغرب حيث يقول السارد في رواية شعلة المايدة : " **كان الأكحل قائدا هاما قضى بيننا سنوات عديدة ...أحب أجدادنا وصلحاء المنطقة لاشك أن الباشا سينصبه بايا بعد وفاة الباي إبراهيم المليانى ، هز الحاج يحي كتفيه قائلا بحذر : أخشى أن يقف في طريقه المرتشون وأتراك الحامية** " [1].

كما نجد لهذا الحدث حضورا تاريخيا تجسد في قول **أحمد بن هطال التلمساني:** " **وفي أوائل هذه السنة توفي إبراهيم باي فطلبت الرعية من الداي أن يعين مكانه محمدا الكبير بايا على الإيالة الغربية وكاد الداي ينفذ رغبة الرعية لولا تعرض أحد الأغنياء – اسمه الحاج خليل – لابتياع هذا المنصب من الداي بثمن باهظ وضع في خزانة مال الدولة حسبما جرت به العادة آنذاك وهكذا بقي محمد الكبير يشغل منصب خليفة ...**" [2].

ليليه استرجاع لتاريخ فتح وهران الأول الذي كان في عهد محمد بكداش باشا حيث يقول السارد في رواية شعلة المايدة : " **بعدما حررت وهران عاش جدك فيها بعض الأيام وعاد إلى الدوار منتشيا بالنصر المبين ، كان جدك يروي لنا في كل مناسبة كيف طرد الجزائريون جنود الإسبان من المدينة وقال لي يوما كنت شابا قويا ...وعشت سنوات عديدة سعيدا بتحرير وهران ولكن جاءت السنة التي**

---

[1] الرواية : ص 08 .

[2] أحمد بن هطال التلمساني: المرجع السابق، ص 16،17.

حملت لنا الأنباء المفجعة لقد احتل العدو من جديد وهران والمرسى الكبير ..." [1].

وفي مقابل حضور هذا الحدث روائيا نجد له حضورا تاريخيا حيث يقول **ابن سحنون الراشدي** في كتابه: الثغر الجوماني في ابتسام الثغر الوهراني: " **...احتل الإسبان وهران سنة 914 هـ وأخرجوا منها سنة 1119 هـ ثم استرجعوها سنة 1144 هـ وبقوا بها ربع قرن إلى أن اخرجوا منها نهائيا سنة1206 هـ على يد الباي محمد بن عثمان الكبير الكردي باي الولاية الوهرانية ...أما الفتح الأول وقع سنة 1119 هـ في عهد محمد بكداش باشا الجزائر وخليفته مصطفى بوشلاغم باي الولاية الوهرانية** " [2].

لنشهد فيما بعد حديثا عن الاحتفال بالدنوش الكبير وما سبقه من تحضيرات ليعلن عن بدايته الرسمية والتي تخللتها طقوس وعادات معينة حيث يقول السارد :" **...حدث عظيم ينظم كلا ثلاث سنوات ويقوده الباي نفسه لتقديم العوائد والهدايا إلى الداي بمدينة الجزائر ...رأى راشد سكان معسكر ورجال قبائل المنطقة وهم يتوافدون على الساحة الفسيحة ...**" [3].

كما نجد لهذا الحدث حضورا تاريخيا إذ يقول **أحمد توفيق المدني:** " **لما وقعت المهادنة مع الإصبانيول ...جاء وقت الدنوش ، فقدم الباي محمد باي وجاء معه بتحف وأموال وهدايا كثيرة من الخيل العتاق والعبيد والمصوغ والأثاث**

---

[1] الرواية: ص 52،53.

[2] ابن سحنون الراشدي: المرجع السابق، ص 09.

[3] الرواية، ص 71.

الفاخر فخرج من مقر إمارته معسكر ومعه جيش كبير من أتباعه .... راكبين الخيل المسومة ذات السروج الذهبية"[1].

وفي مقابل الاحتفال بهذا الدنوش الكبير الذي يقام خصيصا للاحتفال بالبايات والدايات تفرض ضرائب ثقيلة يتحمل أعباءها الشعب الوهراني بظلم واستبداد لتشهد مدينة وهران زلزالا عنيفا سمي بزلزال الخريف الذي اعتبره الناس إشارة على بداية فتح وهران ليترتب عنه اعلان للحرب وتقسيم للمهام العسكرية وحتى الفكرية الأدبية إذ انتقل التدريس من مدينة وهران إلى جبل المايدة " المعلم التاريخي" لنصل في ختام هذه الاستشهادات للحديث عن فتح وهران وتبادل الهدايا بين كل من الداي والباي محمد الكبير.

وما تجدر الاشارة إليه ان هذه الاستشهادات لم تكن بطريقة معلنة ، وإنما تضمنها النص الروائي إذ لم توضع بين مزدوجتين ، ولكن هذا لا ينفي أنها استشهادات .

2-الاقتراض: هو النوع الثاني من أقسام التناص أو كما يسمى " **السرقة الأدبية Plagiat أو التضمين وهو اقتراض غير معلن وسطحي[2]** " وقد عرف هو الآخر حضورا مكثفا على مستوى السرد الروائي فقد تنوع بين ذكر لأحداث تاريخية وبين ذكر لشخصيات تاريخية وبين ذكر لأمكنة تاريخية أيضا ، فمن بين الشخصيات التاريخية التي نجدها موجودة في الرواية " شعلة المايدة " على شكل اقتراض : شخصية مصطفى بوشلاغم باي مازونة وتلمسان حيث يقول السارد : "

---

[1] أحمد توفيق المدني : المرجع السابق، ص 36.

[2] أنظر: جيرار جينيت: طروس الأدب على الأدب، ترجمة: محمد خير البقاعي، مجلة الموقف الأدبي العدد 333، دمشق، سوريا ، كانون الثاني، 1999، ص 60.

... وسأله راشد عن الباي مصطفى بوشلاغم الذي جاهد تحت قيادته جده الأعرج ، فأجابه محمد الشلفي قائلا بثقة كبيرة: تولى بوشلاغم منصب الباي على مازونة وتلمسان ، ثم نقل كرسي الحكم إلى قلعة بني راشد ثم إلى مدينة معسكر..." [1].

وإذا عدنا إلى المصادر التاريخية ألفينا حضور هذه الشخصية في كتاب الثغر الجوماني في ابتسام الثغر الوهراني **لابن سحنون الراشدي** حيث يقول: " **وقد كان أبو الشلاغم اسكن بها الأتراك فحموه بعد استيلاء العدو على البلد حتى أضر بهم الجوع فخرجوا على أمان.**

أسكنهم أبو الشلاغم بوهران حوالي سنة 1145هـ ومنها نقل قاعدة الحكم إلى مستغانم حتى توفي بها ولا زال ضريحه هناك" [2] .

بالإضافة إلى الحديث عن كل من شخصية عروج وخير الدين حيث يقول السارد:" **ابتسم الشيخ التواتي فرحا بما سمعه من محمد الشلفي الذي ذكر أيضا أن عروج دخل القلعة وترك بها حامية تركية تحت قيادة أخيه إسحاق ، ثم واصل عروج مسيرته نحو مدينة تلمسان وقد تعرضت القلعة لهجوم أبي حمو موسى الثالث والغزاة الأسبان فاستشهد اسحاق في إحدى معاركها وحملق الشيخ التواتي جيدا في وجه الطالب الجريء وسأله ..."** [3].

---

[1] الرواية : ص 28 ،29.

[2] ابن سحنون الراشدي: المرجع السابق، ص 255.

[3] الرواية: ص 38.

كما نلقي لهذا الحدث حضورا تاريخيا حيث يقول **أحمد توفيق المدني:** " **الشعب الذي كان ضحية ذلك العدوان العظيم والذي لم يجد من يقوده تجاه تلك الحملة المجنونة أرسل رسله تستنجد المجاهدين التركيين العظيمين عروج وشقيقه خير الدين وهما على رأس تشكيلة قوية من القرصان المسلمين تقاوم بصفة بطولية الأساطيل المسيحية.**

لبى المجاهدان التركيان الدعوة للإنقاذ وجاءا بأسطولهما ورجالهما فكان حصار بجاية وكان تخليص مدينة الجزائر وكان تنظيم المقاومة الشعبية " [1].

ونستشف من خلال هذا الاقتراض رغبة **محمد مفلاح** في العودة إلى تاريخ الجزائر وإلى أهم الحقب والمراحل التاريخية التي مرت بها رغبة منه في الكتابة لكل من تاريخ الجزائر ووهران على حد سواء كون هذه الأخيرة جزءا لا يتجزأ من الجزائر .

أما فيما يخص الأحداث فنبدأها بالحديث عن تعيين محمد عثمان الكردي بايا على الإيالة الغربية ، حيث يقول السارد: " **رفع الحاج يحي يديه نحو صدره وضحك عاليا ثم قال : لقد عين الأكحل على رأس البايليك ...وسأل الشيخ الطاهر شقيقه باهتمام كبير : خبرني ماذا جرى للباي خليل ؟ ...لقد أصيب بعلة غريبة فحملوه إلى تلمسان التي توفي بها ثم دفن بمقبرة سيدي محمد السنوسي وأردف قائلا بأسف: لقد ظلم الشيخ وقسا على الصالحين، كان رجلا مغرورا سمعت أنه كان يريد قتل العديد من المشايخ الأفاضل وقد هاجم على عالم جليل**

[1] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 07.

...وبعد وفاة الباي إبراهيم الملياني انتظر الناس أن يخلفه الخليفة الأكحل ولكن خليل التركي اشترى المنصب بالمال أما اليوم فلم يجد الباشا من هو أجدر من الأكحل لتولي منصب الباي " [1].

لقد عرف هذا الحدث أيضا حضورا تاريخيا حيث يقول **أحمد بن هطال التلمساني: " وفي سنة 1192 هـ اجتمعت الطائفة الدرقاوية من جديد بموضع يقال له عين الحوت قرب تيموشنت وقررت الخروج عن دولة الأتراك فنهض إليهم الحاج خليل باي الإيالة الغربية وفي أثناء سيره إليهم حدثت عاصفة شديدة شتت شمل عسكره وفجأة توفي الباي دون أن يعرف سبب لوفاته ...وعين محمد الكبير بايا على الإيالة الغربية فقضى على الثورة الدرقاوية وغيرها ... فراح ينشر الأمن ويؤلف بين قلوب الناس وبادر بإخضاع القبائل المتمردة ...."** [2] وهو المنصب الذي كان يستحقه الباي محمد بن عثمان الكردي منذ البداية ليكون الحدث الموالي هو قراءة صحيح البخاري من طرف الطلبة كلما تأهبوا للخروج من المعسكر وهذا ما كان يثير الرعب في نفوس الإسبان حيث يقول السارد: **" ... وفي الليل كان الطلبة يتلون القرآن الكريم وصحيح البخاري والمدائح النبوية وهذا ما كان يثير الرعب في صفوف الأسبان ويزيدهم قلقا على مصيرهم "** [3].

---

[1] الرواية : ص 60 ، 61.

[2] أحمد بن هطال التلمساني : ، المرجع السابق ، ص 17.

[3] الرواية : ص 101.

كما نجد لهذا الحدث حضورا مختصرا من الناحية التاريخية حيث يقول **ابن سحنون الراشدي:** " **...أمر الأمير ...بقراءة صحيح البخاري بالمحلة المنصورة لكون قراءته مجربة لدفع الشدائد وتفرج الكرب ...**" [1].

لنشهد فيما بعد عقد الصلح الذي تم بين كل من الإسبان وداي الجزائر من خلال مجموعة شروط قدمها الداي وهذا لما فشل الإسبان في مواصلة الحرب، فاضطروا للانسحاب، فكان الصلح وسيلة لتحقيق ذلك حيث يقول السارد: " **لقد اتصل الإسبان بمولانا الباشا لطلب الصلح هتف الخليفة بإخلاص : لقد انتصرنا يا سيدي الباي ...ثم بحزم... الصلح مع الإسبان لا يكون إلا بعد تحرير وهران ومرسى الكبير...** " [2].

وفي مقابل حضور هذا الحدث روائيا نجد له حضورا على مستوى المصادر التاريخية التي اعتمدها **محمد مفلاح** في كتابة رواية " شعلة المايدة " حيث يقول **أحمد بن هطال التلمساني:** " **... قرر الباي أن يبقى جيشه هناك محاصرا للبلاد ...وفي أثناء هذا الحصار توفي داي الجزائر محمد عثمان باشا فخلفه حسن الخزناجي الذي كان قد تبناه الداي ومنذ ذلك الحين أعطى لقب باشا...وقد رفع الحصار بسبب إبرام اتفاق صلح بين داي الجزائر وسلطان الأسبان ويتضمن 6 شروط معينة...**" [3].

---

[1] ابن سحنون الراشدي: المرجع السابق، ص 298.

[2] الرواية: ص 111.

[3] أحمد بن هطال التلمساني: المرجع السابق، 21 ،22.

لنشهد في ختام هذه الأحداث فتح وهران الذي تم في عهد محمد بن عثمان الكردي والذي لقب بـ : محمد الكبير الباي تكريما لما حققه بعدما عجز العديد من البايات عن تحقيقه حيث يقول السارد: " ...**أخبر الشيخ أحمد بن هطال الباي عن الوضع السائد بوهران. لقد غادر الإسبان المدينة مخلفين الأسلحة ومنها المدافع الحديثة ...**" [1].

وفي مقابل حضور هذا الحدث روائيا نلفي له حضورا تاريخيا في العديد من المصادر نبدأها بما قاله **أحمد بن هطال التلمساني:** " **واختلف في كيفية فتح وهران...إذ قال الحافظ أبوراس إن أمير المؤمنين السيد محمد بن عثمان باي الإيالة الغربية وتلمسان لما ضايق وهران أشد التضييق سأل منه النصارى السلم والتوثيق وراودوه عليه فأعطاهم الأمان على أمتعتهم وأنفسهم ...**" [2].

بينما يقول **أحمد توفيق المدني:** " **وفي سنة الست فتح الباي محمد وهران من يد الإصبانيول وكان محاصرا لها وأطال الحصار عليها حتى سلموا وخرجوا منها وجاءت البشائر للجزائر بفتحها وانتقل الباي محمد إليها وسكنها وصارت مسكنا للبايات من بعده ودخل الناس إليها وعمروها وبنيت فيها المساجد ....**"[3].

كما يدلي **ابن سحنون الراشدي** بدلوه هو الآخر في هذا المقام حيث يقول: " **... فرأى بعض الصالحين وهو السيد محمد القندوز المستغانمي كأنه في مكان**

---

[1] الرواية : ص 121.

[2] أحمد بن هطال التلمساني: المرجع السابق، ص 22، 23.

[3] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 63.

مظلم فأخذ إنسان بيده وأدخله مكانا بهيا فإذا رجل صبيح الوجه بهي المنظر ...قال : فقلت له ياسيد متى تفتح وهران؟ فقال لي: بقي لفتحها 6 أشهر فصدق الله رؤياه لأنه رآها في أثناء ذي الحجة ودخلها المسلمون في رجب ...." [1].

ويعكس حضور هذا الحدث – فتح وهران الثاني – في النصوص التاريخية الثلاث مدى أهميته من الناحية التاريخية الواقعية وحتى من الناحية الروائية المتخيلة إذ دارت وانبنت عليه رواية شعلة المايدة ككل.

هذا فيما يخص مجموعة الاقتراضات الخاصة بكل من الشخصيات والأحداث دون أن ننسى المكان الذي عرف هو الآخر اقتراضا واضحا في رواية شعلة المايدة – لمحمد مفلاح– حيث يقول السارد في معرض حديثه عن القلعة المعلم التاريخي المميز لمدينة غليزان : " **شجعه الشيخ التواتي على مواصلة الكلام فراح محمد الشلفي يستعرض معلوماته عن تاريخ مدينة القلعة وكأنه يقرأ درسا حفظه عن ظهر قلب إذ قال إن القلعة ابتناها محمد بن اسحق وقد اشتهرت بقلعة هوارة قبل أن تعرف فيما بعد بقلعة بني راشد وكانت قبيلة بني راشد مستقرة بجبال عمور قبل أن تلجأ إلى القلعة** " [2] .

وفي مقابل حضور هذا المكان روائيا نلفي له حضورا تاريخيا مميزا إذ يقول ابن سحنون الراشدي : " **...وكتبوا لخير الدين يهددونه ويحذرونه مافعلوا بأخويه إسحاق وعروج من قتلهم إياهما في تلمسان والقلعة ،قلعة بني راشد أو هوارة**

[1] ابن سحنون الراشدي: المرجع السابق، ص 308، 309.

[2] الرواية، ص 38.

بين غليزان ومعسكر كانت قاعدة للأتراك وبها مات الإسكندر أخو عروج وخير الدين " [1].

وهي إشارة من محمد مفلاح إلى القلعة المعلم التاريخي الأثري وإلى أهم الدايات التي تعاقبت عليها ، هذا مايمكن قوله فيما يخص الاقتراض.

3-الإيحاء: Allusion: أو كما يسمى التلميح هو الظاهرة الأقل حرفية وعلنية يعتمد في معرفته على ذكاء القارئ وسعة اطلاعه التي تسمح له بمعرفة العلاقة التي تربط ملفوظ أو خطاب بآخر، وهو العنصر الذي يصعب على المتلقي الوصول إليه وتناولنا له في آخر أقسام التناص لدليل منا على قلة وروده في النص الروائي – شعلة المايدة – نبدأه بالحديث عن الشخصية الفكرية والأدبية **أبو راس الناصري** أحد خريجي الأزهر والذي تولى التدريس بمعسكر، حيث يقول السارد: " **ازداد راشد إعجابا بصديقه المفتون بكتابات ابن خلدون وأبي راس الناصري وبعد لحظات من التفكير قال راشد لصديقه ...**" [2] دون أن ننسى قوله أيضا: " **...ابتسم له الشيخ بن هطال ونصحه قائلا : خالط العلماء المهتمين بالتأليف فمنطقتنا تعرف العديد من الكتاب الكبار ومنهم أبوراس الناصري** ..."[3].

وفي مقابل حضور هذه الشخصية روائيا نجد لها ما يقابلها من الناحية التاريخية حيث يقول ابن سحنون الراشدي : " **محمد أبوراس الناصري 1165-**

---

[1] ابن سحنون الراشدي: المرجع السابق، ص 252.

[2] الرواية: ص 43.

[3] الرواية: ص 70.

1238 كان حافظا لم يقرأ في أول عهده إلا الفقه وبعد انتصابه للتدريس بمعسكر ألح عليه بعض المتخرجين من الأزهر فشرع في دراسته اللغة وعلومها إلى أن وصل إلى درجة وصفه تلميذه محمد بن علي السنوسي دفين ليبيا في بعض فهارسه بمايلي : ومنهم شيخنا وشيخ مشائخنا الهمام الحافظ الإمام سيدي محمد أبوراس المعسكري البلد الناصري رحمه الله كنت أتردد إليه كثيرا وأستفيد منه استفادة عظيمة لتمام حفظه "[1]. وعليه، فإننا نستطيع القول إن محمد مفلاح قد استحضر النصوص التاريخية الثلاث موظفا إياها بطرق وأساليب تناصية متنوعة : كالاستشهاد ، الاقتراض ، الايحاء وحتى وإن كان توظيفه لها بنسب مختلفة ومتفاوتة مما أسهم في إغناء النص الروائي من جهة، ومما أكسب التاريخ حلة جديدة للظهور ...

الخاتمة :

بعد الغوص في العمارة الروائية **لمحمد مفلاح** وما احتوته من جماليات وتقنيات فنية جعلتها تكون مميزة لتستحق بذلك الدراسة لاكتشاف خباياها وأسرارها نصل الآن إلى آخر ثمرات عملنا الذي سعينا من خلاله للتعرف أكثر عن جماليات توظيف التراث التاريخي في الإبداع الروائي الجزائري عامة والإبداع " المفلاحي " خاصة رواية " شعلة المايدة " التي حفلت بالعديد من الروافد والمنابع والمرجعيات التراثية فكانت بذلك أرضا خصبة للدراسة، بل تستحق دراسات عديدة من جميع الجوانب والنواحي وعلى ضوء هذه الدراسة خلصنا إلى مجموعة من

[1] ابن سحنون الراشدي: المرجع السابق ص 66.

النتائج التي يجدر بنا أن نسجلها في خاتمة هذا العمل كإشارات مضيئة وموجهة للمضي مستقبلا في دراسة الرواية بصفة عامة والرواية الجزائرية بصفة خاصة وبالخصوص روايات **محمد مفلاح** ومن بين هذه النتائج مايلي:

1-وظف **محمد مفلاح** العديد من النصوص التاريخية في بناء عمله الروائي هذا " شعلة المايدة " رغبة منه في إبداء مشاركة الشعب في بناء تاريخ وهران، فهي عينة ضربها محمد مفلاح للدلالة على بطولات وتضحيات الشعب الجزائري خاصة والعربي عامة ليقدم عملا روائيا يمتزج فيه التاريخ بالخيال عارضا من خلاله مضامين قديمة بأسلوب وطرح جديدين. مختلفة ومتباينة.

2-وظف **محمد مفلاح** في روايته " شعلة المايدة " لكل أقسام التناص: كالاستشهاد الاقتراض، الإيحاء وهذا بنسب مختلفة ومتباينة.

3-استحضار **محمد مفلاح** للتاريخ لم يكن من أجل احياء هذا التراث وإعادة بعثه من جديد فحسب إنما قام بمساءلته إذ نجده يقدم فلسفة للتاريخ من خلال طرحه لقضية صنع التاريخ فبعدما ساد الاعتقاد بأن البطل هو صانع التاريخ أكد **محمد مفلاح** أن التاريخ يصنعه الشعب بكامله فلا قيمة للفرد البطل دون الجماعة – وهذا ما تجسد من خلال شخصية محمد الكبير الباي – وهي فلسفة في حد ذاتها، فكانت رواية " شعلة المايدة " فسحة لمحمد مفلاح للتعبير بحرية أكبر.

4-عودة **محمد مفلاح** إلى التاريخ بمختلف أشكاله وطرق حضوره: من زمان ومكان، وشخصيات إذ لعبت هذه الأخيرة دورا ايجابيا في بناء صرح الأمة فاستدعاؤه لها هو طرح للقضايا التي عرفتها الأمة بالأمس وعودته للزمان والمكان

التاريخيين لرغبة منه أيضا في القول بأن ما نعيشه اليوم هو ما عشناه بالأمس بشكل من الأشكال .

فهرس المصادر والمراجع:

1- محمد بنيس: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب،1985.

2-جون هالبرين: نظرية الرواية " مقالات جديدة "، ترجمة : محي الدين صبحي، دط ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سورية،1981.

3-محمد برادة: سلطة الرواية والتخييل في الثقافة العربية، مجلة الثقافة، العدد 09، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، يناير،2007.

4- جوزيف هورس: قيمة التاريخ: ترجمة: نسيم نصر، ط3، منشورات عويدات، بيروت، لبنان،1986.

5-نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ط4، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1996.

6- عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، ج1، ط1، دار نوبليس، بيروت، لبنان، 2005.

7- عبد الله العروي: ثقافتنا في ضوء التاريخ، ط6 ن المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2002 .

8- قاسم عبده قاسم: تزوير التاريخ، جملة عالم الفكر، العدد 3، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير، مارس، 2008.

9- سمية رمضان، المصريون بين التاريخ والرواية، مجلة فصول، المجلد 15، العدد 14، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، شتاء،1997.

10-ليندا هتشيون: رواية الرواية التاريخية، تسلية الماضي، مجلة فصول، المجلد 12، العدد 02، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، مصر، صيف، 1993 .

11- محمد صابر عبيد وسوسن البياتي: جماليات التشكيل الروائي، " دراسة في الملحمة الروائية " مدارات الشرق، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع الآذقية، سورية، 2008.

12- زينب قبي: ندوة الرواية والتاريخ " آراء روائيين جزائريين "، مجلة الثقافة، العدد 9، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، يناير، 2007 .

13- نجيب حماش: الخطاب التاريخي في رواية معركة الزقاق لرشيد بوجدرة، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2000 /2001 .

14- مجموعة باحثين: الرواية والتاريخ، دط، المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، 2006.

15- عبد الحفيظ بن جلولي: الهامش والصدى " قراءة في تجربة محمد مفلاح الروائية "، دط، دار المعرفة ، باب الوادي، الجزائر، 2009 .

16- مولود طياب : تصحيح تاريخنا الوطني وتحديد مبادئه، مجلة الثقافة ، العدد 67، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، يناير، فبراير، 1982.

17- محمد مفلاح : شعلة المايدة ، دط ، دار طليطلة، الجزائر،2010.

18- أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1980.

19- بن سحنون الراشدي : الثغر الجوماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق : المهدي البوعبدلي، ج1، دط، مطبعة البعث ، قسنطينة، الجزائر، 1973.

20- أحمد بن هطال التلمساني: رحلة محمد الكبير " باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري "، تحقيق محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1969.

21- سعيد شوقي: توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ، ط2، ايتراك للنشر والتوزيع، مصر، 2000 .

22- سليمة عذاوري: الرواية والتاريخ " دراسة في العلاقات النصية رواية العلامة لابن سالم حميش نموذجا"، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005/ 2006 .

23- جيرار جينيت : طروس الأدب على الأدب، ترجمة: محمد خير البقاعي، مجلة الموقف الأدبي العدد 333، دمشق، سوريا، كانون الثاني، 1999.